سينما

عن «خطّ أحمر» في سيرة

حكايات مُلطّفة أم حقيقية؟

يُثير «سلاي»، الوثائقيّ الجديد عن سيلفستر ستالون ومعه، سؤال العلاقة بين النصّ البصري والإنتاج والحكاية الحقيقية للشخصية الأساسية

نديم جرجوره

أنْ يُشارك نجمٌ في إنتاج فيلم، وثائقيّ تحديداً، عن سيرتيه الحياتية والمهنية، يعني أنّ هناك «خطّاً أحمر» (أو ربما أكثر من خطّ واحد) يُفترض بصناعه عدم تجاوزه. والـ«خطّ» هذا، إنْ يحضر في أصل المشروع، يعني أنّ أموراً يجب ألا تظهر، وأخرى يجب أنْ تكون «مُلطَّفة» أو «مُخفّفة»، أي مرويّة بحسب ما يبغيه النجم، كشخصية وحيدة في الفيلم، وكمنتج له، أو مُشارك في إنتاجه، في آنٍ واحد. أساساً، إنْ يكن النجم مُنتجاً. مُشاركاً في الإنتاج أمْ لا، ويكون شخصية وحيدة في الفيلم، سيقول ما يريد قوله، مُلطّفاً أو مُخفّفاً، وسيُخفي ما يرى أنّ إخفاءه ضروريّ.

هذا غير مُعمَّم، لكنّه ماثلٌ في أفلام وثائقية، تروي حكاية أناسٍ فاعلين وفاعلات في المشهد العام، والسينما وصناعة الترفيه والاستعراض جزءٌ أساسيّ من المشهد هذا، وهؤلاء أساسيون في صنع أفلام كهذه. كشفُ المخفيّ أو بعضه، أو المُلطّف والمُخفّف أو بعضهما، غير سهلٍ لمُشاهدي فيلم كهذا، ولمُشاهداته. فالكشفُ يحتاج إلى تنقيب واستقصاء وتحرّ، أي بحثٍ دقيق في تاريخٍ وأحوالٍ وحكاياتٍ، ومشاهدو . مشاهدات فيلمٍ كهذا غير توّاقين، ربما، للبحث، أو غير قادرين عليه، بكلّ بساطة. عامل. عاملة في النقد والصحافة السينمائيين غير قادرَين على هذا أيضاً، خاصة إنْ يكن أحدهما عربياً ومُقيماً في بلده، والنجم، الشخصية الأساسية (مع صفة منتج. مشارك في الإنتاج، أو من دونها) أجنبيّ مُقيم في بلده، أو عاملٌ. عاملة في بلدٍ آخر، ذي صناعة سينمائية ضخمة.

يُمكن طرح المسألة نفسها على كُتُب سِيَر ذاتية ومذكّرات أيضاً. فالشخصية الأساسية فيها حاضرةٌ بقوّة، وما تريده أو تطلبه يُنفّذ، وإلا فمشروع الكتاب مُلغى. نجومٌ يستعينون بصحافيين وصحافيات، أحياناً، لنقل المرويّ على ألسنتهم إلى نصّ، يمزج مفردات الأدب بمتطلّبات كتابةٍ يُستحسَن أنْ تكون سلسةً من دون تسطيح، وعميقة من دون تنظير، وبسيطة من دون تصنّع، ومليئة بحقائق ووقائع من دون تنصّل أو تجميل. مثلٌ أوّل: «الأغاني التي علّمتني إياها والدتي» لمارلون براندو (مع روبرت ليندزي، صحافي وكاتب أميركي، الطبعة الأميركية الأولى، «راندوم هاوس»، 1994؛ الترجمة الفرنسية لهيو لوروا، «بلفون»، 2004). تفاصيل عدّة، بعضها حميميّ، مروية بأسلوبٍ قابل لتصديقها. التوغّل في الذات، أفعالاً وسلوكاً وعلاقاتٍ ومواقف، يشي بأنّ في النصّ «حقائق»، ربما تُخفي أخرى، وربما لا. مثلٌ ثانٍ: «أسرار دولون» لبرنار فيولي (صحافي وكاتب فرنسي، الطبعة الفرنسية الأولى، «فلاماريون»، 2000). معروفٌ الوصف المتداول عنه: «الكتاب الممنوع»، أي ذاك الذي يسعى دولون نفسه إلى منع صدوره، عبر القضاء الفرنسي، من دون جدوى. دولون رافضٌ، لأنّ فيولي يريد مساحة كبيرة من حرية الكتابة، وحُكم المحكمة الذي لمصلحته تأكيدٌ لحقّه في امتلاك حرية كبيرة في سرد وقائع وحقائق، تستند إلى وثائق وإثباتات. تفاصيل تقول إنّ لدولون علاقات صداقة مع المافيا، وإنّ حارساً شخصياً له متّهم بجريمة قتل، وأشياء أخرى خارج السينما أيضاً.

> كشف الفيلم يحتاج إلى تنقيب واستقصاء وتحرّ عن حكايات

مشاهدة الوثائقي الجديد «سلاي» (2023، نتفليكس)، للأميركي توم زيمْني، يستدعي تساؤلات كهذه، فالشخصية المحورية فيه، أي سيلفستر ستالون (الممثل والمخرج والسيناريست)، أحد أبرز منتجيه، والنصّ المُصوَّر (في منزلٍ فخم له، أساساً، كما في منطقته المولود فيها، والمُقيم فيها زمناً) يروي فصولاً من سيرتيه الحياتية والمهنية، وأناسٌ عديدون يظهرون، بعضهم أفرادٌ من عائلته (أخ، أب وإنْ في أشرطة فيديو قديمة، تحديداً)، وآخرون. أخريات لهم في صناعة السينما مهنٌ، أبرزها الإخراج. النصّ المُصوّر عنه، وهو أحد أبرز منتجيه، يُحرِّض على طرح تساؤلات عن المحجوب. المغيّب. المخفيّ، والمُلطّف. المخفّف، علماً أنّ لحظاتٍ عدة فيه تكشف شيئاً من ألم دفين، وحزنٍ عميق، وقلق يسبق نوعاً منّ تصالح ما مع الذات، إزاء مسائل مختلفة، كالفراغ المتفشّي في منزله الضخم، والعلاقة ببناته، وأصدقاء ومعارف، وماضٍ مليءٍ بأفعال (متناقضة طبعاً بين نجاح وفشل، وفرح وغمّ، وحياة وموت، إلخ).

بدءاً من اللقطة الأولى، يكشف «سلاي» مناخاً، إنسانياً وحياتياً ومهنياً، سيُظلّل الحكاية برمّتها: زقزقة عصافير، خلفية سوداء، ثم ستالون أمام واجهة كبيرة من زجاج، والكاميرا خارج المنزل، وصوته المعروف بنبرته التي تمزج حزناً بمرارة مع بعض الواقعية: «أنادم أنا على أشياء فعلتها؟ بالتأكيد. لكنْ هذا أيضاً يُحفّزني للتغلّب على الندم، وإصلاحه». يُضيف: «أفعل هذا بالرسم أو الكتابة، فأنا غير قادر على إصلاح الندم عملياً، لأنّ الحدث حاصل». هذا مدخلٌ إلى عالمه، والرحلة البصرية مفعمة بمشاعر مؤثّرة، غالباً، تُغذّيها نبرته المنبثقة من صوت فيه خلل، لكنّه سببٌ لشهرة وحضور. صوت يحتمل حنيناً إلى زمنٍ منتهٍ، وإلى أناسٍ غائبين، وإلى اشتغالاتٍ، بعضها مُثير لقهْر خفيّ، ووجع مستتر، فستالون متصالحٌ مع تاريخه، وعلاقته المضطربة بأب، تخرج من رتابة الانقطاع إلى ما يُشبه الاستسلام إلى مسار الزمن، كأنْ يقبل بالحاصل ويتجاوزه، وإنْ من دون مصالحة عميقة وثابتة.

لكنّ سؤال المصداقية، في سِيَر ومذكّرات، يبقى غير محسوم، رغم أنّ أعمالاً عدّة مُثيرة لمتعة المُشاهدة، وربما لتقصٍّ عن حقائق ووقائع.

سيلفستر ستالون في لاس فيغاس، 13 ديسمبر 2023 (إيثان ميللر/Getty)

أفلام ألمانية في «برلیناله 2024»: تاريخٌ وحبّ

دورة جديدة من مهرجان يبلغ، بين 15 و25 فبراير/شباط 2024، دورته الـ74. «مهرجان برلين السينمائي (برلیناله)» يتابع مساره التاريخي، ويحاول إيجاد توازنات بين أزمات جمّة تعانيها القارة القديمة، وألمانيا أيضاً، ورغبة عميقة في الاستمرار، وإنْ من دون تجديد، يرى البعض ضرورته.

دورة تُفتتح بـ«أشياء صغيرة كهذه» (2024)، للبلجيكي تيم مُيَلان (1979)، المقتبس عن رواية بالعنوان نفسه (2021)، للأيرلندية كلير كيغان (1968): قبل أسابيع قليلة على عيد الميلاد عام 1985، يكتشف بِل فورلنغ، تاجر فحم وربّ عائلة، ما يجعله يواجه أسراراً، تدفعه إلى اختبار تجارب حياتيةٍ مُثيرة للاهتمام والمخاوف والمخاطر، في مدينته الأيرلندية الصغيرة، التي تسيطر الكنيسة عليها. هذا تعريفٌ مختصر لفيلمٍ، يُشارك كيليان مورفي في إنتاجه، مع منتجين آخرين، بينهم مات دايمون، عبر شركته الإنتاجية Artists Equity، التي يملكها مع صديقه الممثل والمخرج بن أفلك. مورفي نفسه يؤدّي الدور الأساسي (فورلنغ)، إلى جانب أيلين والش وإيميلي واتسن وميشيل فيرلي.

في المسابقة الرسمية، هناك 19 فيلماً (إلى فيلم الافتتاح)، تُشاهدها لجنة تحكيم، تترأسها لوبيتا نيونْغو، الممثلة الكينية المكسيكية، وتضمّ برادي كوربت (ممثل ومخرج وسيناريست أميركي)، وآن هيو (مخرجة وسيناريست من هونغ كونغ)، وكريستيان بتزولد (مخرج وسيناريست ألماني)، وألبيرت سيرّا (مخرج وسيناريست إسباني)، وياسمين ترينْكا (ممثلة ومخرجة إيطالية)، وأوكْسانا زابويْكو (كاتب وشاعر أوكراني).

من تلك الأفلام، «حمام الشيطان»، للثنائي النمساوي فرونيكا فرانتز وسيفرن فيالا: استناداً إلى وثائق تاريخية، عن قصة حقيقية غير معروفة في التاريخ الأوروبي النسائي، يُقدّم الفيلم صورة عميقة عن امرأة مفعمة بالأمل واليأس: عام 1750، في «النمسا العليا»، تتزوّج الشابّة أغنيس (آنيا بلاغ) شخصاً غريباً. تشعر بالعزلة والوحدة في عالمها المجهول. ولأنّها متديّنة وعاطفية للغاية، تعزل نفسها أكثر فأكثر عن الحياة الريفية والعمل. إنّها لا ترى مفرّاً من عذابها الداخلي إلا بممارسة عمل فظيع من العنف. فيلمٌ آخر إنتاجه ألماني، بعنوان «إلى هيلدا، مع الحبّ» لأندرياس دريسن: في برلين، أوائل عام 1942، تنضمّ هيلدا (مساعدة طبيبة شابة) إلى معارضين معروفين باسم «الأوركسترا الحمراء». تلتقي هانز، فتُغرم به، ويُصبح زوجها. يمضيان معاً صيفاً رائعاً، رغم خطورة أنشطتهما. ذات يوم، يُلقي عناصر «غستابو» القبض على هيلدا، فتُسجن وهي حامل. في السجن، تُنجب ولداً، قبل صدور حُكم عليها بالإعدام. الفيلم الألماني الـ3 بعنوان «موت»، لماتياس غلاشنر: تستفيد ليسّي (75 عاماً) من حريتها، بعد إصابة زوجها بالخرف، وإقامته في دار رعاية. مع ذلك، عليها مواجهة أمراض مختلفة تُصاب بها، كالسكري والكلى والسرطان. كما أنّها بدأت تُصاب بالعمى، ببطء. ابنها توم قائد فرقة موسيقية، وابنتها ايلين طبيبة أسنان، ترتبط بعلاقة غرامية مع سيباستيان.

ندیم...

> دورة جديدة تحاول الموازنة بين أزمات أوروبا والفن السابع

ايميلي واتسن بطلة «أشياء صغيرة كهذه»: افتتاح «برلیناله 2024» (تيم بي. ويتبي/Getty)

أقوالهم

بالنسبة إلى «حيوات سابقة»، هناك أفلام شاهدتُها من كثب. «عشائي مع أندريه» للوي مال مثلاً، لأنّه يُظهر بدقّة كيف يمكن للمحادثة أنْ تحمل الدراما. كما ألقيت نظرة فاحصة على «الابن سرّ أبيه» لهيروكازو كوريدا، و«يي يي» لإدوارد يانغ. إنّهما فيلمان عائليان بامتياز، ويمتدّان في الزمن، وفي بواطن الشخصيات.

سيلين سونغ

أحد أسباب الحبّ الجمّ الذي أكنّه لـ«تاكسي درايفر» أنّه لا يتعلّق بشخصية محبوبة، لكنْ هناك شيء فيها يجعلني، إنْ لم أكن أشعر بالتعاطف، أرغب في خوض الرحلة معها على الأقل. لديّ فضول كافٍ للذهاب في تلك الرحلة، لأنّها تتعلّق بشخصية أشعر بأنّها تُشبهني كثيراً، رغم اختلافها الجذري عنّي. أعتقد أنّ هذه طريقة أفضل لسرد قصص إنسانية، مقارنة مع أفلام تكتفي بإشهار المواقف.

مادس ميكلسن

أفعالهم

The Underdoggs لتشارلز ستون الثالث، تمثيل **سنووب دوغ وتيكا سمْبتر** (WireImage) ومايك إيبس: جايسن تو جانينغز نجم كرة قدم محترف سابق، وصل إلى الحضيض. عندما يُحكم عليه بخدمة المجتمع كمدرّب لفريق Underdoggs للأطفال الجامحين، يرى فرصة لإعادة بناء صورته العامة. مع ذلك، يُمكنه تغيير حياته، وإعادة اكتشاف حبّه للرياضة.

Upgraded لكارلسن يونغ، تمثيل **كاميلا مانديس** (Getty) وآرتشي رونو وماريزا تومي: في رحلة عمل، تتمّ ترقية آنا، المتدرّبة الطموحة، إلى الدرجة الأولى. هناك، تلتقي ويل، الذي يظنّ أنّها رئيسته. آنا لا تنكر هذا، لكنّها تُتبعه بسلسلة أحداث، تتراوح بين الرومانسية والانتهازية. مع ذلك، لا يُمكن للكذب أنْ يستمرّ إلى الأبد.

أخبار

◆ ذكرت معلومات صحافية غربية مختلفة أنّ هناك مفاوضات تجري بين المخرج كوانتين تارانتينو والممثل توم كروز، حول مشاركة الأخير في فيلم جديد للمخرج، سيكون الأول الذي يجمعهما معاً. أضافت المعلومات أنّ عنوان المشروع The Movir Critic، الذي يتردّد أنّه سيكون آخر فيلم لتارانتينو، لكنْ لا شيء محسوماً نهائياً، رغم أنّ المخرج يُردّد مراراً أنّه سيتوقّف عن إخراج الأفلام. ونقلت تلك المعلومات عن الموقع الإلكتروني The Insider خبراً، يُشير إلى أن كروز «يدرس إعادة ترتيب جدول أعماله المزدحم، ليُشارك في فيلم ولو بدور صغير أو ظهور خاطف». فكروز منشغلٌ للغاية عام 2024، بخاصة أنّه سيُصوّر الحلقة 8 من «مهمة: مستحيلة». أمّا بخصوص جديد تارانتينو، الذي يُتوقّع إطلاق عروضه التجارية عام 2025، فيروي مقتطفات من سيرة ناقد سينمائي غير مشهور، في سبعينيات القرن الـ20.

◆ قال الممثل البريطاني كريستيان بل إنّه يسعى إلى مساعدة المحتاجين، وإنّه شارك في وضع الحجر الأساس لبناء دار رعاية للأطفال المشرّدين، مضيفاً أنّ هذا المشروع «حلمٌ يراودني منذ 15 عاماً»، عندما كان يُصوّر حلقة من «باتمان» في كاليفورنيا، حيث كان يرى الأطفال المشرّدين يعانون في الطرقات. وأشار إلى أنّ هذه القضية ذات أهمية خاصة بالنسبة إليه، لأنّ ولاية لوس أنجليس التي يُقيم فيها، تشهد عدداً من الأطفال المشرّدين أكثر بكثير من ذاك الحاصل في ولايات أخرى، مؤكّداً أنّ الرعاية البديلة «قضية مهمّة» له دائماً، بخاصة أنّه يعلم بوجود عدد كبير من حالات اليُتم في الولايات المتحدة الأميركية والعالم، وهدفه «إحضارهم إلى كاليفورنيا، ورعايتهم من الضياع». وتهدف دار الرعاية إلى «توفير نموذج بديل للرعاية، بإعطاء الأولوية لإبقاء الإخوة والأخوات معاً»، و«تقديم خدمات صحية وتعليمية للأطفال الذين يعيشون في المجتمع المحلي».

◆ بعد تأجيل إطلاق الجزء الـ3 من «أفاتار»، يرغب المخرج الكندي جيمس كاميرون في «استراحة قصيرة»، للتفرّغ لأعمال وثائقية، بالتعاون مع «ناشيونال جيوغرافيك». يُذكر أنّ إطلاق العروض التجارية لهذا الجزء الـ3 كان مُقرّراً في الربع الأخير من العام الجاري، لكنّ «ديزني» أجّلته «بسبب إضرابات هوليوود»، إلى 19 ديسمبر/كانون الأول 2025.